« ان فلسفة الخيام لن تفقد أبدا جدتها ، والسبب كامن فى أن هذه الرباعيات الضئيلة فى شكلها المليئة بالمعنى تناقش كل المشاكل الفلسفية المهمة القاتمة التى حيرت الانسان طوال العصور ، تناقش الأفكار التى أثرت فيه بقوة والأسرار التى بقيت مغلقة أمامه ، ويصبح الخيام شارح كل هذا العذاب الروحى ، وهو يستغيث تحت تأثير القلق والمخاوف والآمال وأنواع الخيبة ، كما عكس بنجاح أفكار الملايين من المخلوقات البشرية » ويستمر هدايت فيقول « من أجل أن نحدد أسلوب تفكير الرجل الذى نظم الرباعيات وفلسفته ، ينبغى أن نستنبطها من رباعياته ، فليس أمامنا سبيل آخر وذلك لأن حياته وتطورها والمؤثرات فيها ، وتأثيراته الموروثة والفلسفية والناس الذين كانوا على علاقة به وبيئته وتعليمه ، كلها أمور مجهولة بالنسبة لنا » ٠

وفضلا عن هذا فان طبيعة الرباعيات المبهجة جعلتها عرضة لمختلف التفسيرات ، ومن ثم اذا ترددنا فى قبول الصورة التى رسمها عن الخيام « فيلسوفا ماديا » فاننا لانستطيع أن نشك فى التشابه بينهما فيما يتصل بالتشاؤم الفلسفى ، والحقيقة أن أفكارهما عن الدين والمجتمع تبدو متطابقة فى الغالب بحيث يبدو من الصعوبة بمكان أن نفرق بين الشاعر الذى قدم لنا « البلابل المغردة» « الزهور الجميلة » والكاتب الذى قدم لنا « البومة العمياء » و« سوسنات الماء التى لا رائحة لها » ٠

ودعونا نفكر فى بعض ملامح هذه الصورة :

« هناك رغبة وشوق وحنين وأسف على ماضى ايران نجده فحسب عند الخيام »(ص ٣٩) « كان الخيام يرغب فى تحطيم هذا العالم البشع الحقير الكئيب المضحك ، ويبنى على أنقاضه عالما أكثر منطقية »(ص ٤٢)